

طائفية النظام ومشروع بناء الدولة الإرتريه

بقلم الاستاذ/ عبدالرحمن طه النور

" معظم الأحيان تكون "الطائفية" السياسية مكرسة من ساسة ليس لديهم التزام ديني أو مذهبي بل هو موقف انتهازى للحصول على "عصبية" كما يسميها بن خلدون أو شعبية كما يطلق عليها في عصرنا هذا ليكون الانتهازى السياسى قادرا على الوصول إلى السلطة. إن مجرد الانتماء إلى طائفة أو مذهب لايجعل الإنسان المنتمي إلى تلك الطائفة طائفا ، كما لا يجعله طائفا عمله لتحسين أوضاع طائفته أو المنطقة التي يعيشون فيها دون إضرار بحق الآخرين، ولكن الطائفي هو الذي يرفض الطوائف الأخرى ويغمرها حقوقها أو يكسب طائفته تلك الحقوق التي لغيرها تعاليا عليها أو تجاهلا لها وتعصبا ضدها " .

في مداخلى الأولى تعقيا على مقال (الصراع فى ارتريا ليس طائفا) للاستاذ فتحى عثمان ، علقت عليه بـ : حقيقة أم تمنى . والتي ركزت فى متنها على الموضوعيه التى يجب ان نناقش بها مثل هذه القضايا ، حتى لايسقط الرأى فى متاهة الاستفزاز الذى قد يدفن الفكره ويحرمانا من الحوار أو ينحرف به .

بالعودة الى الموضوع الذى أراه مهما فى التأسيس لفكرة المقاومة أو(المواجه الشاملة) اقتباسا ، ولإعادة بناء مشروع الدوله الذى انحرف بانحراف المشروع الوطنى على أسس العدالة والديمقراطية ، وصون الحقوق وتكافؤ الفرص ، دون تمييز أو تلوين أو إقصاء لجميع المكونات الطائفية و الثقافية ، الاجتماعية، الاقليمية أو على أساس الجنس .

هل النظام طائفي أم لا ؟؟

أخذ هذا السؤال فى مناقشته جزء كبير من لقاءات المعارضة ، وكان من الاجنده الدائم بشكل مباشر أو غير مباشر. وكنت كغيرى اعتقد اننا نضيع وقت ثمين فى قضية لا تستحق ، وقد يكون هذا رأى اغلبية القراء ، وكنا نغلق عليه بجمل كثيره ومبررات لاتحصى ، بهدف التقدم لقضايا اخرى اكثر اهميه. والحقيقة المفجعه اننا كنا نعود ونصطدم باثار هذه القضية ، والتي تتجلى فى أزمة الثقة ، العقبه التى تتحطم عليها كل محاولات العمل المشترك .. وكان لابد ان يكون كذلك ، لان منطلقاتنا فى كثير من الاحيان مختلفه باختلاف تقيمنا ووصفنا لما يحدث ، وعليه تختلف رؤيتنا ومواقفنا ، وتتحرف خطانا بعيدا عن بعضنا البعض . والسؤال الذى يتبادر الى ذهنى بإلحاح حتى متى سيتم دفن هذه القضايا ؟؟ وهل لنا مصلحة فى ذلك كإرتريين ؟؟ لماذا نخاف ؟ ونحن نعلم ان من يمارس هذا الجرم هو من ينبغى ان يتهم و يخاف !؟ فإذا كنا نظن ان ممارسة الطائفية يشترك فيها جميع المسيحيين ، كيف سنؤسس لشراكة وطنيه إذا ، دون وضع حد لهذه الطائفية ؟؟ وإذا كان من يمارس هذا الجرم مجموعة متطرفه ، انحرف بهم المسار نحو مصالحهم ، يستخدمون الطائفية كلعبه وواجهه يحتمون بها ، وليس لطائفتهم فى ذلك يد ، إذا لماذا لا تكون مهمتنا كوطنين فضح هذه الجريمة فى حق الوطن ورميه بقوس واحد ؟؟ وإذا لم تكن هناك طائفية وهذا مانتمناه ، لماذا تأخر التغيير الذى نناضل من اجله ونحلم به ؟

وأجزم اننا لن نخسر شيئاً من فضح النظام ، ولن ننجر نحو طائفه يقتل فيها بعضنا بعض ، وهذا رهان التاريخ والحاضر والمستقبل . إذ أن ما نطرحه يندرج في المقام الأول ضمن حرصنا المشترك على اللّحمة الإرتريه واستعادة الثقة ، وبناء وحدة وطنية أفضل ، تقوم على قبول كل مكون بوضعه وحقوقه على أسس عادلة ، ليس هناك من عليه الرضوخ والخنوع لأي سبب ، وآخر مستعلى متجبر.. وبالعودة الى التاريخ الذي نراهن عليه ضمن الحاضر والمستقبل ، نجد ان الآباء المؤسسين للرابطة الإسلاميه ، لم يجدو حرجا في تسمية كيانهم باسم إسلامي ، كإطار تنظيمي يجمعهم ويعبر صراحة عن رفضهم للطائفية التي مارسها حكام اثيوبيا عبر عصور مختلفه ، ولم يقبلو بالتحريف أو التلوين في كياناتهم . وفي المقابل لم يجد الآباء من المسيحيين ، حرجا في التضامن والتماهي مع هذا الحق أيضا ، و اتحدوا في كتلة استقلالية وطنية واحدة . ولم يفكروا في انكار اي مكون ، او تلوين أي طائفة ، وتقبلوا المعطيات الواقعية والتاريخية القائمة ، وعلى هذا الاساس المتين بدأ المشروع الوطني الإرتري .

وتأسيس على ذلك نقول ان من ينظرون للمشهد السياسي المعارض ومكوناته المتعددة التوجهات ، بالطائفية والقبليه في ظل هذا الوضع المنحرف ، إنما يهتمون المشروع الوطني في أساسه ، ويحاولون تغيير تاريخ التعايش الإرتري بافكار غير واقعية ، أو رؤية غير موفقة أو سليمة ، لا تمت للوضع الإرتري بأي صلة من قريب او بعيد ، ويقطعون بذلك الطريق نحو بناء الدوله الوطنيه على أسسها الصحيحه ، والتي قامت عليها فكرة الآباء المؤسسين بأن أرتريا للأرتريين ، وأول مطلب للتقويم والتصحيح والاستنهاض نحو استعادة المشروع الوطني وبناء الدوله الإرتريه هو الاعتراف بازماننا وعرضها على طاولة التشريح السياسي ووضع حلول جذرية ، وليس من المسؤوليه الوطنيه الابقاء او تجاهل قضايا بهذا التأثير العميق في الحاضر والمستقبل .

رأس النظام وأتباعه يتقيون طائفه !!

قبل الخوض في اثبات وجهه نظرنا ، يجب ان نؤكد على حقيقة هامة حتى نكون متصالحين مع الجانب الإيجابي في طرحنا . عندما نقول النظام طائفى مسيحي ، فإننا نقصد النظام وأعوانه وليس غيرهم ، وليس بالضرورة اننا نعني كل المسيحيين كمكون واسع في ارتريا . وذلك كقولنا ان الدواعش مثلا أو الشباب الصومالين مسلمين ولكن ليس بالضرورة أنهم يمثلون المسلمين في هذه الاقطار . وحقيقة اخرى نذكرها ونضع لها كل اعتبارا ، ان هناك احفاد للأب الرأس تسما ورفاقه من إخوة لنا لايقولون حماسا وتجردا في مقارعتهم للنظام ، يتجرعون معنا الظلم والتنكيل ، ويخافون على الوطن ووحدته ، ولانثك في فهمهم لمقصدنا المعلن .

وبما ان طائفية النظام تحدث فيها الكثيرون باسترسال ، وبطرق اكثر منهجيه ، والبعض يقر بها كمستوى من مستويات الصراع ، ويختلف معنا في ترتيبها الاولوياتي . اجد ان هذا يعفني من الاسهاب والتحدث عن تاريخ نشأة النظام واهدافه المعلنه في وثيقة - نحنان علامانان - وسلفى ناظنت ، ومواضيع التعبئه المعلنه والمستتره ، ومصادر التمويل وغيرها من قضايا تتعلق بمرحلة الثورة . وركز على ما يناسب فكرتي ، واقف على السياسات التي اتخذها النظام منذ الاستقلال .. قضايا الأرض في المسكن أو الاستثمار والانتفاع بما في ظاهرها وباطنها من ثروات ، وسياسة الاستيطان الممنهجه في مقابل الحؤول دون عودة اللاجئيين. وعلى المستوى الإجماعى مشروع التقسيم اللغوى والقوميات ومسمياتها التي وحد بها مسيحي المرتفعات في مقابل تشرذم المجتمعات المسلمه. طغيان الثقافة المسيحية تحت غطاء التقريجه في مقابل وأد اللغة العربيه وثقافتها ، ساوا ومشروع صياغة المجتمع الجديد . التعليم ومناهجه . شغل وظائف

الخدمة المدنية والعسكريه ، وجميع الاجهزه النظاميه والامنية من الوزير الى الغير .الاقتصاد وسياساته وقوانينه ومنظومة المصارف .

فى اتجاه آخر نجد أن النظام نكل بالطوائف الجديده من المسيحين ، شهود يهوه (الجهوفا) والمعمدانيه (البينى) . وقبل ان يؤخذ هذا شاهد على عدالته فى ظلم جميع الطوائف ، دعونا نسأل ماهى دوافع النظام فى قمع واضطهاد هذه المجموعات ؟ هل تتعلق بقضايا وطنيه او سياسيه ؟ أم النزعه الطائفية للنظام التى املت عليه ضرورة الحفاظ على نقاء وصفاء مايعتقده وتوهمه انه سوف يكسب بذلك رضاء الكنيسه .

المتابع لهذه السياسات والممارسات بتجرد ، لن يجد اننا ننتبع هفوات وسقطات جاءت بالصدفه فى سبيل تعزيز النظام لحكمه ، ودون إجهاد للفكر ، سيجد انها سياسات ممنهجه مقصودة ، تغطى على جميع القضايا فى شمولها ، وهى المنصه الرئيسيه التى ينطلق منها ممعنا فى استلاب حق طرف واحد ، فى هكذا وضع كيف يمكن تبرير هذا الفرز؟؟ هل الديكتاتوريه والشيفونيه والشموليه وغيرها من نظم القهر والبطش تمارس هذا الفرز فى الاضطهاد؟؟ .

إذن نحن سواسيه فى جميع جرائم النظام ، إلا فى هذه القضايا التى تشكل أس المشكله .. وتجعلنا كغيرنا نجزم ان قاعدة الصراع التى تيناها النظام ، ويوهم بها مجموعته التى ماقتنتت تفتات من فتاته الفكرى ، لتشكل السياج البشرى الذى يحميه ، وتتكسر عندها جميع محاولات التصحيح من الداخل والاختراق من الخارج . بماذا يغذى هؤلاء ؟ ماهو الرهان الذى يراهنون عليه ويتفقون حوله؟؟ قطعاً ليست الوطنيه ! فكل محاولات الوطنيين من مسلمين ومسيحيين تصدى لها هؤلاء ، وإذا كانوا وطنيين لأدركوا منذ اللحظة الاولى ان ما يحدث لوطنهم لايمكن ان يقوم به وطنى على الاطلاق . هل هى مصالحهم من معاش وامتيازات ومكاسب على الارض ؟ اليس بسط ايديهم للسلام ضمانه اكبر من انتظار السقوط الثورى . هل ضعف المعارضة وتشرذمها هو ماغريهم للمضى فى غيهم ويعمى ابصارهم ، دون النظر الى مايمكن ان يحدث من طوفان شعبى ؟. اسئله كثيره والحقيقه دائماً ان هناك سياج اقوى من كل الروابط ، يدفع افراده الى التضحية بالنفس والمال ، كما نشاهده من طائفي الخارج ، وفوق كل ذلك التضحية بالوطن . هل هناك رابطه اقوى من العصبية الطائفية يمكن ان تقوم بكل ذلك ، وهل نستبعدها وهى مائله امامنا لاننا لانريدها ؟ فيما يظل النظام يحتمى بها ويتغذى عليها ويضعفنا فى المقابل .

الغايه من هذا السرد والملاحظات ليس إنتراع الاعتراف بها والاعتذار عنها ، لان مرتكبيها ومن تواطئ معه لايعفيه الاعتراف والاعتذار من المسأله والمحاسبه ، ولاننا ندرك ان الكنسيه لم تعد النظام لهذه المهمه وتبارك سياساته هذه ، ولقناعاتنا أيضا ان مثل هذه الاجنده يستحيل ان يتفق عليها مجتمع بكامله ، وانما هو طرح لنخب ، كعادة من يتوهمون انهم يفيدون انفسهم ومجتمعاتهم بضمان مستقبل افضل ، لهذا غاية مانريده هو التبرأ من هذه الخطيئه الدينيه والوطنيه ، ومن ثم التضامن مع اشقائهم فى الوطن . ولانسعى الى ايجاد رافعة متوهمه تدفع بالمسلمين الى مقارعة النظام وتوحيد صفوفهم وتشد من عزيمتهم فالحقيقه الماثله تستدعى ذلك واكثر.ونروم ذلك قبل كل شئ من أجل ترميم الوحدة الوطنيه التى تنداعى ، واستعادة الثقة التى تحول دون توحيد معسكر التغيير الديمقراطى ، لننتقل بعدها الى مرحلة المواجهه الشاملة واستعادة الوطن .

دعونا نتفق كحد أدنى وبروح وطنيه متصالحة مع الواقع ، ان النظام يلعب بالطائفية لحماية سلطته ، وهو غير معني البتة بمصالح غيره ، ودعونا ايضا نتفق انه يستخدم هذه الفزاعة لثيق معسكر المعارضه وإحباط كل مقاومة (وليس هناك ادل من اتهامه لمن كانوا وراء محاولة فورتو الانقلابية بانهم اسلاميين) ، ويخيف العالم بأن سقوطه سيخلق فراغ يجلب معه فوضى ... اليست هذه اللعبة التي تخدمه في إطالة أمد بقائه في السلطه ، في المقابل ماذا سوف يحدث عند كشف هذه الحقيقة؟؟..

إذا كانت هناك حقيقة واحدة تخيف اسيااس والنظام ، وتهدد سلطته وتسلطه ، هي اكتشاف من يشكلون له السياج الذي يحتمى ويتستر من ورائه هذه الحقيقة . حقيقة انه يتلاعب بهم ويبيعهم الوهم الزائف ، حقيقة انه لامصلحة لهم في وطن لايسع للجميع

فلنتحرر جميعا من مخاوفنا ونقف في خندق واحد ، ونعلن زيف النظام وطائفيته وندعه يواجه أسوء مخاوفه .

وقفه .. وصمت .. ودعاء

مارس في هذا العام ينخر في وجداننا حزنا عميقا جديدا وهو يضم الى القائمة مع سيد شهداء ارترايا الشيخ عبد القادر كبيرى ، والمناضل الفذ سفير الكفاح الارترى الاول عثمان صالح سبي ، المناضل والقائد الكبير وملهم الاجيال الاستاذ احمد محمد ناصر وبقية العقد الفريد عليهم رحمة الله جميعا .

السقوط والعار للنظام الطائفى وأعوانه ..

عاشت إرتريا حرة وموحده .. وعاش شعبها حرا كريما ...